بسم الله الرحمن الرحيم
الجزء التاسع والعشرون
سور
الملك - القلم - الحاقة
المعارج - نوح - الجن
المزمل - المدثر - القيامة
الإنسان - المرسلات

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ تَبَارَكَ ﴾ البركة هى كثرة الخير وزيادته، فالمعنى تكاثر خيره وزاد، وحلت بركته على البشر ﴿ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ اليد مجاز عن القدرة ، والمُلك هو مُلك الأكوان كلها ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فقدرته مطلقة لا يمنعها ولا يدفعها شىء، خلق الموت والحياة ليمتحننا أينا أفضل عملاً وأخلص فيه وأكثر نفعًا للمجتمع الصغير والكبير، وعملنا الذى خلقنا من أجله هو عبادته بحمل أمانة التكليف بالخلافة على الأرض، وهى إقامة الحق، وهو العزيز واهب العزة ومانعها، وهو الذى يملك وحده المغفرة والعفو عن المذنبين. خلق سبع سماوات مطابقة، ما ترى فيها من تناقض ولا تخالف، وعاود البصر فلن تجد شقوقًا ولا صدوعًا ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ عاود البصر مرتين، سيرجع إليك بصرك فاشلاً عن أن يبصر عيبًا أو صدعًا كأنه ذليل مبعد عن مسعاه ﴿ حَسِيرٌ ﴾ كليل منقطع.

***

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴾

زين الله السماء الدنيا بالكواكب التى تضىء، ورجم منها الشياطين الذين يسترقون السمع، والله أعلم بمقصوده من ذلك وكيف يتم ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) ﴾ وكذلك جعل الله للذين كفروا به من شياطين الإنس والجن عذاب جهنم وبئس المصير، يسمعون لنار جهنم شهيقًا، كأنها كائن جبار يلتهمهم بناره التى تغلى ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ تكاد تلك النار تتقطع غيظًا من أعمال أولئك الشياطين فى الدنيا، كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنة النار مستنكرين ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ فاعترف أصحاب السعير أنه قد جاءهم نذير، واعترفوا بأنهم كذبوا النذير، واعترفوا بأنهم تكبروا وجحدوا وقالوا ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ وفضلوا أن يتبعوا أهواءهم وتجاوزوا قدرهم، فقالوا للمرسلين وللمؤمنين ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ واعترفوا أنهم عطلوا ما حباهم الله به من سمع وعقل ﴿ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾.

***

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) ﴾

أما الذين يخشون الله، رغم أنهم لم يروه فى عالم الشهادة، وآمنوا به واتبعوا هديه، فجزاؤهم مغفرة وأجر كبير. وسواء أسر الإنسان قوله أو أعلنه فإن الله يعلمه، ويعلم ما فى الصدور ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ وهو الذى بسط الأرض لعباده وسخر لهم ما فيها، فاسعوا فى أركانها، وكلوا مما رزقكم، واعلموا أنكم إليه تبعثون.

***

﴿ءأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩)﴾

تحذر الآيات الناس من عقاب الله إذا كذبوا بآياته. هل أمنتم أن يخسف الله بكم الأرض فتضطرب وتأخذكم ـ كما خسفت بقارون؟ ـ أم أمنتم أن يرسل عليكم ريحًا تحصبكم ـ مثل قوم لوط أو أصحاب الفيل؟ ـ أو لم تروا قدرة الله ورحمته فى أن يجعل كلاّ ميسراً لما خلق له، فأنتم تمشون على الأرض بأرجلكم وأقدامكم، والطيور تسبح فى الفضاء بأجنحتها، تفردها تارة وتقبضها إلى جانبها تارة وهى تخفق بها ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ لا يدخل فى خلقه وتدبيره خلل ولا نقص.

***

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ (٣٠)﴾

بعد أن عرفتم قدرة الله ورحمته بكم، فماذا غركم بالله وبأنفسكم؟ هل لكم أو لشركائكم قوة تنتصرون بها على الله؟ هل هناك من يرزقكم إن أمسك رزقه ﴿بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ بل تمادوا فى استكبارهم وتجبرهم وعنادهم ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ أفمن يتعثر فى مشيه، فينكب على وجهه ثم يقوم يمشى، ثم ينكب على وجهه وهكذا ـ قال قتادة: [هو الكافر انكب على معاصى الدنيا فحشره الله يوم القيامة على وجهه] ـ أهدى أَمَّن يمشى سليمًا

على صراط مستقيم فى الدنيا، مشيًا يجعله يجتاز الصراط المستقيم فى الآخرة إلى جنات النعيم ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فمن آفات الإنسان أنه لا يشكر الله على نعمه لأنه اعتبرها حقّا مضمونًا، ولو قدر نعم الله عليه لزاد استنفاعه بها، وزاد تمتعه بها، ولزاد شكره وحمده عليها، فزاده الله من نعمه ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ذكرهم يا محمد أن الله هو الذى خلقهم ونشرهم فى الأرض، وأنهم بعد الموت سيحشرون فى الآخرة للحساب، فقالوا مثلما قال المتكبرون الجاحدون، فى تحدٍّ وسخرية ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ متى الساعة التى تهددنا بها؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ثم فجأة يأتى اليوم الذى يكذبونه ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ قريبًا منهم ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ ساءت وجوههم بما عملوا فى دنياهم، وما يلاقونه فى أخراهم، ويقال لهم هذا هو اليوم الذى كنتم تسخرون منه ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ قل لهم يا محمد لا عليكم ماذا يحدث لى ولمن معى، فاعملوا لأنفسكم، واتعظوا واعتبروا: من يكفر بالله، مثلما كفرت الأمم السابقة، فمن يحميه من عذاب الله الأليم الذى أهلك به الكافرين؟ ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ نحن آمنا بالله، وتوكلنا عليه، وستعلمون غدًا من هو على حق ومن هو فى ضلال مبين، وفى عبرة أخيرة وتهديد أخير، قل لهم يا محمد: إن غاص ماؤكم فى أعماق الأرض، فمن يأتيكم بماء يجرى على الأرض ترونه بأعينكم لتشربوا منه؟.

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧)﴾

﴿نٓ﴾ ارجع لشرح الحروف المُقَطَّعة فى أول سورة البقرة، وقيل بل معناها الدواة التى يكتب بها، وقيل بل الحوت، والله أعلم ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ والقلم وما يكتبون ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ما أنت يا محمد بنعمة ربك الذى أنزل عليك الوحى وكلفك بالرسالة الخاتمة بمجنون كما يزعم الكفار ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ وإن لك عند الله على تبليغك الرسالة أجراً غير مقطوع، وقيل غير ممنون به عليك، ولا مانع من المعنيين ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قيل المعنى إنك لعلى دين عظيم، هو الإسلام، أو إنك على الخلق العظيم الذى أمرك به الله فى القرآن والوحى، وقيل المقصود أخلاقك التى تمارسها، ولا مانع من الجمع بين كل ذلك، وقالت عائشة (رضي الله عنها): كان خلقه القرآن ـ رواه أحمد ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ فستعلم فى الآخرة وسيعلمون أيكم الذى أصيب بفتنة الجنون ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

***

(*) إلا الآيات من ١٧ إلى ٣٣ والآيات من ٤٨ إلى ٥٠ فمدنية.

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦)﴾

فلا تطع المكذبين وتحاول إرضاءهم لاستمالتهم للدين، فهم يريدون أن تلاينهم وتصانعهم فى القول فيدهنون لك بالمثل ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ لا تطع كثير الحلف حقير الرأى والفكر ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ عيّاب للناس مشاء بينهم بالنميمة، يداوم على منع الخير عن الناس، ويعتدى على حقوق الله وحقوق الناس، كثير الإثم ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ العتل هو الفظ الغليظ، والزنيم هو المشهور بالشر، وقيل هو الملصق بالقوم وليس منهم، وقيل دعى، وقيل الفاحش اللئيم ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ ألأنه كان ذا مال وبنين كان خلقه سيئًا بدلاً من أن يحمد الله ويشكره؟ وقيل ألأنه كان ذا مال وبنين ظن أنه يستحق الطاعة؟ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول عن آيات الله أساطير الأولين ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ المقصود بالخرطوم الأنف، فيكون المعنى سنبين أمره بيانًا واضحًا، وعلى خرطومه، أى بعار لا يفارقه.

***

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)﴾

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ إنا بلونا المكذبين كما بلونا أصحاب الجنة حين أقسموا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ ليقطعن ثمارها فى الصباح الباكر ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ حصة الفقراء ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فجاءها أمر الله وهم نائمون، فصارت الجنة كما لو كان أحد صرم، أى قطع ثمارها، وقيل سوداء كصريم الليل، ميت نباتها

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ ونادوا على بعضهم البعض فى الصباح: اخرجوا فى أول الصباح إلى حرثكم إن كنتم تنوون قطع ثماره ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ فانطلقوا وهم يخفتون أصواتهم حتى لا يسمعهم المساكين فيتبعوهم ليسألوهم بعض الثمار، وظنوا أنهم على ﴿حَرْدٍ﴾ على قصد، وهو الاستئثار بالرزق، وقيل على منع، وهو نفس المضمون، أى أنهم على منع الرزق عن الآخرين قادرون ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ هذه ليست جنتنا، ثم تأكدوا أنها جنتهم، فقالوا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ حرمنا الله ثمارها ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قال أعدلهم يذكرهم ويؤنبهم: ألم أقل لكم أن تحمدوا الله وتعطوا الفقراء ما أمركم الله به؟ فاعترفوا بخطئهم ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ راح كلٌّ منهم يلوم الآخر وندموا على ما فعلوا، ثم رغبوا فى مغفرة الله وكرمه ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا هو جزاء من يمنع حق الفقراء من مال الله الذى استخلف الأغنياء عليه.

***

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٤١)﴾

هل يمكن أن نسوى بين المؤمن التقى الذى سينعم بجنات النعيم والمجرم؟ أى حكم هذا؟! أم أن الكفار لديهم كتاب من الله يقرأون فيه أن لهم أن يفعلوا ما يريدون؟ فهم يُشَرِّعون لأنفسهم ما تهوى! أم أنهم أخذوا من الله عهدًا أقسم عليه أن يحكموا كما يشاءون ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ اسألهم يا محمد من يزعم أيّا مما سبق؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ أم لهم آلهة شركاء مع الله منحوهم ما سبق ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

***

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) ﴾

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ كناية عن هول يوم القيامة، فالكشف عن الساق عند العرب دليل على شدة الأمر، وقال الزمخشرى: [يوم يشتد الأمر ويتفاقم] ويُدعى الكافرون والمشركون والمنافقون للسجود فلا يستطيعون ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ تخشع أبصارهم من ذلتهم فى ذلك اليوم، وكانوا يدعون فى الدنيا لطاعة الله والسجود له وهم سالمون، والسجود هنا دلالة اختيار الطاعة فى الدنيا، فلما رفضوا ذلك فى الدنيا، استعصى عليهم ذلك فى الآخرة، ورب سائل يقول وهل فى الآخرة عبادة حتى يسجدوا لله؟ والجواب على ذلك يحتمل عدة أوجه: فى قول الله تعالى ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩] فيكون ذلك بعدم السجود ـ أو يكون ذلك على وجه التوبيخ لهم، كما قال الماتريدى: [يُقال للرجل إذا كان مكثرًا (ثريًا) ثم ذهب ماله، ولم يؤد الزكاة ولا حج فى حال يسره، يقال له: حج الآن.. زكى الآن]، وقال الرازى: [اعلم أنهم لا يدعون إلى السجود تعبدًا وتكليفًا، ولكن توبيخًا وتعنيفًا على تركهم السجود فى الدنيا] ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ فلا تنشغل يا محمد بأولئك المكذبين، فسيأخذهم عقابى من حيث لا يعلمون، وأمهلهم حتى يتوبوا وينوبوا، فإن أصروا على كفرهم فلن يفلتوا من تدبيرى المتين. أم يمنعهم من اتباعك أنك تطلب منهم أجرًا على ذلك؟ وذلك سؤال استنكارى. أم أنهم يعلمون الغيب، ويعرفون أنه بعد الموت لا حياة ولا نشورا؟ وهذا أيضًا سؤال استنكارى.

***

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢) ﴾

يدعو الله نبيه محمدًا ومن ورائه أمته إلى الصبر على ما يواجهونه فى سبيل دينهم، ولا يتعجلوا نصر الله أو عقابه للكافرين كما تعجل ذلك يونس (ﷺ)، الذى لولا نعمة الله عليه لتركه فى العراء بعد لفظه من بطن الحوت، وهو ملام على فعله ولكن اجتباه ربه فأنبت عليه شجرة اليقطين فعالجته من إفرازات بطن الحوت، ثم أرسله لأكثر من مائة ألف فهداهم ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ وإن يكاد الذين كفروا، بسبب شدة كراهيتهم وحقدهم عليك، ينظرون إليك نظرًا شريرًا يكاد أن يزل أقدامك، ويتهمونك بالجنون، وما أنزلنا إليك يا محمد إلا ذكرًا للعالمين، يهديهم لصراط الله المستقيم فى الدنيا والآخرة.

***

opeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢) ﴾

﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ الحقيقة الحاقة، الحقيقة الواقعة، الحقيقة الواجبة، الحقيقة الآتية، إنها لحظة وساعة الحقيقة، يتحقق فيها البعث والحساب، وتوضع موازين الحق لأعمال الناس فى الدنيا، ومن بعدها الجزاء الحق ﴿ مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ ما هى تلك الحقيقة الحاقة؟ وما أعلمكم بتلك الحقيقة التى تحق عليكم فى يوم البعث والحساب، هذا اليوم كذب به المكذبون، ومنهم ثمود قوم صالح وعاد قوم هود، كذبوا بالقارعة أى بيوم القيامة والحساب، فأما ثمود فأهلكوا ﴿ بِالطَّاغِيَةِ ﴾ بالواقعة التى تجاوزت الحد فى الهول، صيحة صعقتهم فأرجفتهم وزلزلتهم، وأما عاد فأهلكتهم ريح شديدة البرودة عالية الصوت سخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ أهلكت القوم فصاروا مثل جذوع نخل ﴿ خَاوِيَةٍ ﴾ ساقطة، من خوى النجم: إذا سقط للغروب ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ وجاء فرعون ومن قبله من الكفار، والمؤتفكات، أى

المنقلبات، وهى قرى قوم لوط، بأفعال التكبر والجحود والفسق الخاطئة، فكذبوا رسلهم وعصوهم ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ فأهلكهم الله بأخذة زائدة الشدة ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ يوم أهلك الله الكفار من قوم نوح وحمله والمؤمنين به فى المركب الجارية ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال أكثر المفسرين إن النبى (ﷺ) قال بعد نزول الآية لعلى (رضي الله عنه): «إنى دعوت الله ـ تعالى ـ أن يجعلها أذنك يا على».

***

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)﴾

فإذا نفخ الـمَلَكُ فى البوق نفخة واحدة، أنهت الحياة الدنيا فأنهت عمر الأرض وجبالها بدكة واحدة ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة، والحساب ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفة متداعية ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ والمَلك على جوانبها، ويحمل فوقهم عرش الرحمن ثمانية، ولا نعرف الكيفية ولا نعرف ماذا تعنى الثمانية، فهذا من أمور الغيب ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

***

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)﴾

فمن يتناول كتابه بيمينه، فيقول مطمئنًا مستبشرًا: ها هو كتابى فاقرءوه، لقد عملت فى الدنيا ليوم الحساب هذا، فهو يتمتع بعيشة راضية فى جنة عالية، ثمارها قريبة، يهنأ بالطعام والشراب جزاء لما عمله فى حياته السابقة فى الدنيا.

***

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

﴿الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ(٣٧)﴾

أما من تناول كتابه بشماله فيتندم ويتحسر قائلاً ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلاّ دونها ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ ولم أعرف حسابى ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ ياليتنى لم أبعث وكانت موتتى هى القاضية فى أمرى، لا ينفعنى اليوم مالى ولا نفوذى، ثم يصدر الأمر الإلهى لملائكة العذاب: ضعوه فى الأغلال، ثم أحرقوه فى الجحيم، ثم أدخلوه فى سلسلة طويلة، قال سيد قطب: [ذراع واحدة من سلاسل النار تكفيه! ولكن إيحاء التطويل ينضح من راء لفظ السبعين وصورتها] فهو كان فى الدنيا كافراً بالله العظيم، وكان لا يحض على إطعام المسكين، فاليوم ليس له من يدافع عنه، ولا طعام يأكله إلا من غسلين، وهو طعام أعده الله عذاباً فى جهنم للخاطئين.

***

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣)﴾

فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون، فالأمر أوضح من الحاجة للقسم، وقيل لا لنفى ما يعتقدونه ويقولونه، ثم أقسم الله بما يبصرون وما لا يبصرون، وفى المعنيين تأكيد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ما يقوله محمد هو قول رسول كريم، مصدره رب العالمين، وليس بقول شاعر، بل أنتم قليلاً ما تؤمنون، ولا بقول كاهن، بل أنتم لا تريدون أن يذكركم أحد بالله ولماذا خلقكم وماذا عليكم أن تعملوا، وما هذا القرآن إلا تنزيل من رب العالمين.

***

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ(٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ(٥٠)وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ(٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾

لو تقول محمد علينا بعض الأقاويل التى لم نقلها، لأخذناه بقدرة وبقوة، ولقطعنا منه نياط قلبه، فما منكم من أحد يستطيع حمايته، وهذا قول رب العالمين عن خاتم النبيين، فأى عقاب ينزله بمن يفترى على الله الكذب من بقية الخلق؟[1]، وأن هذا القرآن تذكرة للناس

(١) كثيراً ما طعن المستشرقون ـ ومن ردد صداهم من «المستغربين» ـ فى الإسلام قائلين إنه دين نص، وإن الثقافة الإسلامية ثقافة نص، ويقصدون بذلك جمود الدين والثقافة الإسلامية؛ لأنها محصورة =

= فى نص . والرد عليهم من وجوه، منها أن هذا النص أنزله خالق الإنسان وخالق الأكوان، خلق الإنسان ليكون خليفة على الأرض، وخلق فيه من فطرة ومدارك ما يؤهله لذلك، وسخر له ما فى السماوات والأرض لتلك المهمة، أرسل الرسل وأنزل على بعضهم كتبًا تذكر الناس وتهديهم، وآخر الرسل محمد (ﷺ)، وآخر الكتب القرآن، قال عنه منزله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الأعراف: ٥٢]، ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧]، وقال رسول الله (ﷺ): «القرآن كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله تعالى، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله تعالى، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضى عجائبه» وقال خالق الأكوان عن خاتم النبيين (ﷺ) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فمن يريد أن يحصر القرآن ورسالة الإسلام فى عصر النبوة، ويقول إن فلانًا، أو فكرًا، أو نظرية أو عقيدة أصلح لحياة الناس من هذا النص ـ أى القرآن ـ أو أن هذا النص وسنة محمد (ﷺ) تصلح فقط لزمانه، فهو يصطدم اصطدامًا مباشرًا مع نصوص القرآن وروحه، ونقول له هل أنت أعلم بما يصلح الناس من خالقهم؟ هل أنت أدرى بما ينفع الناس دنيا وآخرة من رب العالمين؟ هل أنت أدرى من الله بما خلق البشر له؟ وبما يريده منهم؟ راجع قراءاتك فى القرآن والسنة، وثبِّت إيمانك بخالقك العليم الخبير الحكيم ولا تغتر بحلمه! .

أما طعن المستشرقين فى أن الإسلام دين نص، والثقافة الاسلامية ثقافة نص، يقصدون ذلك الجمود فى النص، فربما كان لخلفيتهم الكتابية (من الكتاب المقدس) سبيل لذلك. فهم أولاً: يعلمون أن الكتاب المقدس غير مقطوع بمن كتبه ولا بأى لغة، ولا فى أى وقت، بل لم يكن فى ذهن كثير ممن كتبوه أنه سيأتى من بعدهم بقرون من يعتبر تلك الكتابة مقدسة! ـ ثانيًا: تراكم تراث طويل بشرعية تدخل الأحبار فى النصوص، وبشتى الأساليب بدءًا من تحديد صحتها أو زيفها، الإضافة إليها أو الحذف منها، أو تغييرها إذا لزم الأمر، وبالطبع تأويلها بكافة أنواع التأويل، حسب ما يراه الأحبار، فهم يرون أن لرؤسائهم حق التشريع: التحليل والتحريم، وسنكتفى ببضعة أمثلة: اختلف الأحبار فى تأويل آية من التوراة، فطلب أحدهم مساعدة الله لإقناع زملائه بتأويله، فتدخل الله مرة واثنتين ولكنهم لم يقتنعوا، فكلمهم الله قائلاً إن تأويل أليعازر هو الصحيح، فرد عليه أحدهم: التوراة ليست فى السماء! أى أننا أقدر على تأويلها منك، فضحك الرب قائلاً: لقد هزمنى أبنائى ـ (*تاريخ الكتاب المقدس*) لكارين أرمسترونج صفحة: ٦٧، ٦٨ مكتبة الشروق الدولية ـ ٢٠١٠م. والمثل الثانى نص من الأناجيل يقول فيه المسيح (ﷺ) لبطرس: ما تحلون على الأرض يكون محلولاً فى السماء، وما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا فى السماء. فأوّل آباء الكنيسة القدامى أن الباباوات لهم حق التشريع من تحليل لتحريم، لحرمان رعاياهم، لإدخالهم الجنة، بل قالوا إن الكنيسة هى المسيح! والمسيح عندهم هو الله، فكأنهم قالوا: الكنيسة هى الله! .

والمثل الثالث هو أن المسيح (ﷺ) قال: ما جئت لأنقض الناموس (الشرع) وإن زوال السماء والأرض أهون على الله من زوال نقطة من الناموس، فإذا ببولس يلغى كل الناموس، ويبتدع عقيدة مخالفة كلية لما جاء فى الناموس، ويكتب رسالة كاملة لأهل غلاطية عن التحرر من الناموس! . وفى الوقت الذى يقول آباء الكنيسة عن ذلك تحرر، وحرية، وما إلى ذلك من أسماء يسمونها، ويتهمون الإسلام بالجمود وأنه=

بالله: لماذا خلقهم؟ وماذا يريدهم أن يعملوا فى حياتهم الدنيا، ولكن لا يستفيد منه سوى المتقين، ولكن يعلم الله أن هناك مكذبين، فهذا القرآن حسرة على الكافرين يوم الحساب، سيتحسرون على عدم اتباعه، وأنه يوم الحساب لحق اليقين ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾.

***

= دين نص وما إلى ذلك من أسماء يسمونها، فإنهم يأمرون رعاياهم بطاعة الكنيسة، فالكنيسة هى المسيح، ويقولون إن كلمة الله لا يمكن أن يحصرها نص أو ورق، فكيف تنحصر كلمة الله فى صفحات؟ ثم يكون المعنى الذى لا يقولونه هو أنهم ـ أحبار اليهود والنصارى ـ أقدر على أن يقولوا كلمة الله من الله نفسه! فعلى أتباعهم السمع والطاعة!

ويستمع لكل ذلك بعض المسلمين، ويقولون كيف نتبع نصّا والدنيا تتغير؟

ولأولئك نقول ثانيًا: راجعوا قراءاتكم لدينكم، وراجعوا قراءاتكم لمن تستمعون إليهم من مستشرقين، ومن شرق ومن غرب!

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) ﴾

قال مخلوف: [السائل هو النضر بن الحارث؛ حيث قال استهزاءً: ﴿ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢] فنزل ما سأله وقتل يوم بدر]، وقد تكرر في القرآن قول المتكبرين الجاحدين ﴿ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فيرد رب العالمين أنه إذا وقع هذا العذاب ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾ لن يكون هناك من يرفعه أو يدفعه ﴿ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ جمع معرج وهو طريق الصعود ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ تصعد الملائكة وجبريل إليه في يوم مقداره خمسون ألف سنة من سنوات الناس ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ فاصبر يا محمد على أذى الناس صبراً طويلاً مطمئنًا واثقًا، فما يراه المتكبرون الجاحدون بعيداً نحن نراه قريبًا، وهو آت، وكل آت قريب.

***

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي

﴿تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨)﴾

فى يوم البعث والحساب، تصير السماء ﴿كَالْمُهْلِ﴾ كبقايا الزيت، وتصير الجبال كالصوف الملون المنفوش ـ كما فى [القارعة: ٥] ـ ولا يهتم حميم بحميمه ولا يسأله عن حاله وماذا يحتاج وما إلى ذلك من أمور الصداقة، مع أنهم يبصرون بعضهم البعض، بل فى ذلك اليوم يصير حال المجرمين ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ كلا! انتهى ما كان بين المجرمين فى الدنيا، فهم الآن أمام نار تقلع ﴿لِّلشَّوَىٰ﴾ أطراف المجرمين، تدعو إليها دعوة لا تُرَد، من أدار ظهره وأعرض عن ذكر الله، وكان همه أن يجمع المال، وما إليه من متع الدنيا الزائفة والزائلة.

***

﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)﴾

من طبع الإنسان شدة الهلع، وشدة الجزع إذا أصابه شر، وشدة البخل والمنع إذا أصابه خير، إلا المصلين، والمصلون هنا علامة على الإيمان، فهم دائمون على صلاتهم، ودائمون على الإنفاق فى سبيل الله، فذلك هو تصديق الإيمان، وجاء فى الحديث «ما نقص مال من صدقة» رواه الترمذى، وهم يعرفون أن فى أموالهم حقّا للسائل والمحروم، فليس ذلك بمنة منهم ولكنه واجب عليهم، وهم يفعلون ذلك لأنهم يصدقون بيوم الدين، ويشفقون على أنفسهم وأهليهم مما سيحدث لهم ذلك اليوم، وهم يعرفون أن ﴿عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾.

***

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥)﴾

تستمر الآيات فى تعداد بعض صفات المؤمنين، فهم يحافظون على فروجهم فلا يزنون، ولا يبتغون وراء ما أحل الله لهم، ومن يفعل ذلك فهو من المعتدين على حدود الله، وهم يحافظون على أماناتهم وعهودهم، وتكررت الآيات التى تأمر بذلك، وجاء فى الحديث «أد الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك» رواه أبو داود والترمذى، والذين يقومون على شهادتهم الأولى حين سألهم ربهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فأجابوا: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾، ثم تكرر الآية المحافظة على الصلاة، وهى كما بينا سابقًا تعنى أداءها فى أوقاتها، وإتمام أركانها، والعمل بما تأمر به وتنهى عنه، أولئك المؤمنون جزاؤهم جنات تجرى من تحتها الأنهار، يكرمهم فيها رب العالمين.

***

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)﴾

فما بال الذين كفروا حولك مادى أعناقهم إليك مسرعين عن يمينك وعن شمالك جماعات متفرقة ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ يريدون أن يدخلوا الجنة، التى يبشر بها محمد (ﷺ)، ولكن دون إيمان ولا عمل؟ فيجيبهم رب العالمين كلا لن يكون ذلك، ثم يذكرهم بخلقهم الذى يعلمونه من ماء مهين حتى ينزلوا عن تكبرهم، ثم يقول ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ فالأمر أوضح من أن أقسم برب المشارق والمغارب، وقيل بل المعنى: لا، كلمة نهى ونفى وزجر عما يعتقدون، ثم يقسم رب العالمين بنفسه، رب المشارق والمغارب: إنى لقادر على أن أهلكهم وأخلق أناسًا خيرًا منهم، ولا يعجزنى أحد عن ذلك، فدعهم يا محمد يخوضوا فى باطلهم ويلهوا فى متع دنياهم الزائفة الزائلة، حتى يأتيهم اليوم الحق، يوم يخرجون من قبورهم سراعًا كأنهم يتسابقون إلى راية منصوبة ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) ﴾

أرسل الله نوحًا (ﷺ) إلى قومه بدعوة التوحيد وأنذرهم إن لم يعبدوا الله فسيلحقهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة، فقال نوح لقومه ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ(٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

***

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا(٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) ﴾

لبث نوح (ﷺ) يدعو قومه فى صبر ومثابرة ألف سنة إلا خمسين، وهم يستكبرون ويجحدون، فشكا حالهم لربه: إنى دعوتهم صباح مساء، فلم يسفر دعائى لهم إلا زيادة

إصرارهم على استكبارهم وفرارهم من الدين، فيجعلون أصابعهم فى آذانهم حتى لا يسمعوا قولى، ويغطوا رؤوسهم بثيابهم لئلا يرونى ولا أراهم، ثم إنى جهرت لهم بالقول، وأسررته لهم، وأطمعتهم فى غفران ربهم ورزقه الواسع، فهو قادر على أن يجعل السماء تدر عليهم الأمطار ﴿ مِّدْرَارًا ﴾ كثيرة الدرور ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾.

***

﴿ مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا (٢٠) ﴾

مالكم لا تعظمون ربكم وتوقرونه ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام يكسوها لحمًا، وكل ذلك فى بطون أمهاتكم، ثم تخرجون خلقًا آخر ، ثم تتطورون من أطفال رضع إلى صبيان وصبيات، إلى فتيان وفتيات، ثم تبلغون أشدكم، ومنكم من يعود إلى أرذل العمل ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ سبع طبقات متطابقة فوق بعضها البعض ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ وتذكروا خلق أبيكم آدم من طين، ثم تموتون وتدفنون فى الأرض ثانيًا، ثم يخرجكم يوم القيامة للحساب. ولقد سوى لكم الأرض ليسهل عليكم العيش عليها، ولتتنقلوا فى طرقها ومسالكها.

***

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً (٢٤) مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا (٢٨) ﴾

ثم قال نوح وهو يشكو إلى ربه: لقد عصونى واتبعوا الخاسرين من أصحاب الأموال والأولاد الذين لم يحمدوا ربهم على نعمهم، ومكروا مكرًا كبيرًا ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا

﴿ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ لا تتركوا عبادة أصنامكم ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ أولئك الظالمون الذين يدعو نوح (ﷺ) ربه ألا يزيدهم إلا ضلالاً هم الذين يتكبرون ويجحدون دعوة الحق من أمثال فرعون وبطانته، ومن أمثال ما قالت عنه الآية الكريمة ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، فأغرقهم الله بالطوفان، ودخلوا فى الآخرة نارًا لن يجدوا فيها أنصارًا، وقال نوح داعيًا ربه ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ أهلكهم جميعًا ولا تبق من الكافرين أحدًا يسكن دياره، يدور ويدب على الأرض ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ إنك يا رب إن تركتهم أحياء سينشرون الضلال بين العباد، وإن أنجبوا أبناءً لن يكونوا إلاّ فجرة كفرة. ثم يدعو نوح ربه ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ ولا تزد الظالمين إلا هلاكًا وخسارة.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)﴾

قل يا محمد إن الله أوحى إليّ أنه قد استمع عدد من الجن ـ ما بين الثلاثة إلى العشرة ـ إلى القرآن يتلى؛ فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا، يهدى إلى الرشد، فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا، وإن ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ ما اتخذ زوجة ولا اتخذ ولدًا، وإن جاهلنا كان يقول على الله كذبًا بعيدًا عن الحق، وقد كنا نظن أن الإنس والجن لن تتجرأ بالكذب على الله فى دعواهم اتخاذه زوجة وولدًا، فقد كان العرب يقولون إن الله صاهر الجن فجاءت الملائكة،

وتكلم سفر التكوين عن أمر قريب من ذلك، وقال المسيحيون إن عيسى (ﷺ) ابن الله ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ حدث هذا فى الماضى، ويحدث اليوم، أن يلجأ البعض إلى الجن فيخوضوا فيما لا يعلمون، فما نتيجة ذلك إلا أن ازدادوا ضلالاً وقلقًا وحيرة ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾ وأن الإنس ظنوا كما تظنون أنتم أيها الجن أنه لا بعث يوم القيامة ولا حساب ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ وأنا التمسنا أخبار السماء فوجدناها امتلأت بالملائكة الحراس والشهب المحرقة ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ فمن يحاول السمع الآن يجد له شهابًا راصدًا مترقبًا يرجمه ﴿ وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ ولا نعلم هل أريد بأهل الأرض شرّ أم خير ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ ومنا الصالحون ومنا ما دونهم، فنحن فرق متعددة ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ وأننا علمنا أنه لا مفر من حكم الله فى الأرض وفى السماء، وأننا لما سمعنا هدى القرآن آمنا به، ومن يؤمن بربه فلا يخاف نقصًا من جزاء عمله، ولا ضلالاً ولا قلقًا ولاحيرة، وقيل ولا ظلمًا يرهقه، وأننا منا المسلمون ومنا ﴿ الْقَاسِطُونَ ﴾ المنحرفون عن الحق، فالذين أسلموا هم الذين قصدوا طريق الرشاد، أما المنحرفون عن الإسلام فهم حطب جهنم تأكلهم بنيرانها. وهنا انتهى كلام الجن فى السورة.

***

﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) ﴾

يقول رب العالمين: لو استقام الإنس والجن على الطريق المستقيم لأسقاهم الله ماءً كثيراً يتسع به رزقهم، ليختبرهم فى رزقهم الواسع، وأن المساجد هى لله، للصلاة له، ولذكره، ولدعائه طلبًا لخير الدنيا والآخرة، فلا تدعوا مع الله أحدًا، كما يحدث فى أماكن عبادة أخرى، يدعوا المتعبدون أشخاصًا وملائكة وآثاراً يقدسونها، وما إلى ذلك ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ

﴿اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ عندما قام محمد يدعو ربه اجتمع ضده المكذبون يحوطونه، فأمره الله أن يقول لهم: إنى أدعو ربى وحده، ولا أشرك معه أحدًا، ولا أملك أن أضركم أو أرشدكم، ما علىّ إلا البلاغ، ولن يحمينى من الله أحد، ولن أجد أحدًا ألجأ إليه إن أشركت به أو تقوَّلت عليه بعض الأقاويل ﴿إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاته﴾ استثناء من قوله ﴿لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ ومن يعص الله ورسوله فجزاؤه جهنم خالدًا فيها، وعندما يروا ما وعدهم الله فسيعلمون أنهم الأضعف ناصرًا والأقل عددًا.

***

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)﴾

لا يعلم الغيب إلاّ الله، ولا أدرى ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من البعث والحساب؟ ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ زمنًا طويلاً ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ الله وحده هو عالم الغيب، وهو وحده الذى يوحى بعضًا من الغيب لمن ارتضى من رسله، ويرسل له حفظة من كل جانب ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ الله يعلم الغيب والشهادة، ما كان وما سيكون، وما لم يكن وما لن يكون، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟ والمقصود بكلمة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ هنا ليعلم فى عالم الشهادة بعد أن كان يعلم فى عالم الغيب، أى ليتحقق الإبلاغ، وراجع شرح [البقرة: ١٤٣]، [آل عمران: ١٤٢]، وقد أحاط بكل شىء وأحصى مقداره.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩) ﴾

﴿ الْمُزَّمِّلُ ﴾ أصلها المتزمل، ومعناها المتلفف فى ثيابه ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ للعبادة من دعاء لذكر لقراءة قرآن لصلاة، وسورة المزمل هى من أوائل السور نزولاً، وقيل إنها الثالثة بعد العلق والقلم، أو الرابعة بعدهما وبعد الفاتحة، وقال محمد الغزالى: [الظاهر أن سورة المدثر نزلت قبل سورة المزمل] فإذا صح استنتاجه تكون سورة المزمل الرابعة أو الخامسة نزولاً، والله أعلم ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ قم الليل إلا نصفه، أو أقل من نصفه قليلاً، أو أكثر من نصفه ورتل ما أنزلنا عليك من القرآن ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ إنا سنوحى إليك ذكرًا من الله بالحق، فهو ثقيل فى ميزان الله ثقل الحق، وهو: لا إله إلا الله، خلق الإنسان وعلمه البيان، وسخر له ما فى السماوات والأرض ليحمل أمانة التكليف بالخلافة على الأرض، ثم يبعث الله الناس بعد موتهم ليحاسبهم على أعمالهم، وفقًا للشرع الذى أنزله عليهم فى كتبه ومع رسله، فمن يعمل مثقال

(*) إلا الآيات ١٠، ١١، ٢٠ فمدنية.

ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ إن إنشاء العبادة فى الليل أشد ثباتًا فى القلب وقولها أفضل لما يجدر بها من انتباه القلب والعقل وانصرافهما عن شئون الدنيا ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾ السبح يعنى الفراغ، ويعنى المشى والتقلب، وأوَّل الماتريدى ذلك إلى أن على الرسول (ﷺ) أن يقوم الليل فى العبادة، ويقوم بتبليغ الرسالة فى النهار، فهو من بدء رسالته منشغل بها انشغالاً كليّا عن الدنيا وما فيها، ويبين ذلك الآية التالية ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ والذكر هو استحضار الذات الإلهية فى القلب والعقل، وقول وعمل كل ما يقرب لله، و ﴿تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ وانقطع لذكر ربك انقطاعًا كاملاً ـ وذلك كما جاء فى سورة الأنعام ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(١٦٣)﴾ ـ ومن يفعل ذلك يحق له أن يقول كما قال خاتم النبيين عن ربه «لن يضيعنى»، ويبدأ القرآن فى رحلة طويلة يُعَرِّف الناس بالذات الإلهية، بعد أن تراكمت أساطير وخرافات عن خالق الأكوان، ربها ومالكها والقائم على كل أمورها، منذ خلقها وإلى نهايتها ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ فهو خالق الأرض والشمس والقمر، وخالق الليل والنهار، وخالق الموت والحياة ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ يا محمد ومن تبعك من المؤمنين.

***

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (١٩)﴾

فاصبر يا محمد على ما يقوله عنك المكذبون، واهجرهم هجرًا ليس فيه ضيق ولا تبرم، ولا كراهية ولا حقد، ولا استعجال ولا يأس، أما المكذبون الذين أنعمت عليهم بمال وبنين فسوف أمهلهم قليلاً، فإن لم يرجعوا إلىَّ، فلهم يوم الحساب أغلال وجحيم وطعام كريه صعب البلع، وعذاب أليم، وفى ذلك اليوم تضطرب الأرض والجبال، وتصير الجبال كثبانًا منهالة، ثم تخاطب الآيات أهل مكة وتنذرهم: لقد أرسلنا رسولاً لكم، يشهد على أعمالكم

كما أرسلنا من قبل إلى فرعون رسولاً، فعصى فرعون الرسول فأهلكناه إهلاكًا فظيعًا، فاتقوا يومًا شديدًا يشيب له الولدان الصغار، تنشق السماء لهوله، وذلك وعد متحقق، هذه تذكرة لكم، فمن شاء رجع إلى الله وسلك سبيله.

***

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

يعلم الله يا محمد أنك، وطائفة من المؤمنين معك، تقوم أقل قليلاً من ثلثى الليل، وأحيانا أخرى نصفه، أو ثلثه ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ قال عطاء: [لا يفوته علم ما تفعلونه (فى الليل أو فى النهار)]، علم أنكم لن تطيقوا ذلك القيام فعفا عن إلزامكم بذلك، لأنكم تمرضون، وتسافرون وراء تجاراتكم وأعمالكم، وتقاتلون فى سبيله، فاقرءوا ما تيسر لكم من قراءة القرآن، وصلوا ما تيسر من الصلاة، وآتوا الزكاة، وأنفقوا من أموالكم فى سبيل الله، ويجىء التعبير القرآنى البليغ الذى يمس من له قلب وعقل ﴿أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فاعتبروا يا أصحاب القلوب والعقول والأموال، كثرت أو قلّت، واعلموا أن ما تقدمونه لأنفسكم من خير بمقاييسكم البشرية، ستجدونه عند الله خيراً وأعظم، بمقاييس صاحب الملكوت والخزائن، واستغفروا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ﴾

من أوائل السور، نزلت بعد المزمل، ورأى محمد الغزالى أنها نزلت قبلها، وقال: [قيل هى أول ما نزل من القرآن الكريم، وهذا غير صحيح، فهى أولى ما نزل بعد انقطاع الوحى] ﴿ الْمُدَّثِّرُ ﴾ المتلفف بثيابه، جاءه الوحى الإلهى: قم فأنذر الناس أن يتوقفوا عن ظلم أنفسهم وظلم الناس، وينتهوا عن أسلوب حياتهم الضال، ويعبدوا الواحد الأحد، ويستعدوا من دنياهم لأخراهم ويوم الحساب، ولا تكبر إلا الله، ولا تعظم أحدًا سواه ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ كناية عن تطهير النفس والقلب والعمل، وأيضًا تطهير الثياب والبدن، والأول مُقَدَّم، فبدونه لا فائدة ولا معنى من تطهير الثياب ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ فاهجر عبادة الأصنام، وهو (ﷺ) لم يكن يعبد الأصنام، فيفهم من هذا أن المعنى: استمر فى هجران الأصنام، وادع قومك لذلك ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ قال الماتريدى: [قال مجاهد والحسن: تأويله: ألا تستكثر عملك فتمن به على ربك. فإن كان التأويل هذا، فالمراد من الخطاب غير رسول الله (ﷺ) (أى الخطاب للناس عمومًا وللمؤمنين خصوصًا)؛ إذ لا يتوهم أن يكون رسول الله (ﷺ) ممن يمن على ربه]، وقيل: لا تمن على الناس لتستكثر منهم، وأيضًا يكون هذا الخطاب موجهًا للناس

وللمؤمنين ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ اصبر على كل ما تلقاه في دعوتك لله ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ نفخ فى الصور للبعث والنشور ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ .

***

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) ﴾

قال أكثر المفسرين إن هذه الآيات نزلت فى الوليد بن المغيرة، وهى تناسب كل من آتاه الله مالاً كثيراً وأبناء وأتباعًا عديدين، ومهد له سبله فى الدنيا، ولكنه بدلاً من أن يحمد ربه ويشكره، طمع في الزيادة، ورفض التصديق بآيات ربه، مثل هذا المتكبر الجاحد سيعاقبه الله ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ سأرهقه من الصعود، أو فى الصعود، وقال أكثر المفسرين: إن ذلك عذاب له فى الآخرة، والمعنى أوضح فى الدنيا، فالوليد بن المغيرة الذى كان يسمونه ريحانة قريش، وأمثاله من وجهاء أقوامهم يبذلون الغالى والرخيص ليحافظوا على مكانتهم، فهو وأمثاله من المتكبرين الجاحدين، سوف يكلفهم الله ما لا يطيقُونه من إرهاق ليحافظوا على وجاهتهم أو يزيدوها، فلله جنود السماوات والأرض، وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ إنه فكر في القرآن، وعلم أنه ليس بشعر، وهو يعلم أن محمدًا صادق أمين، فقدر ماذا يقول، ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ أفظع الدعاء على ذلك الإنسان بالقتل، فهو يستحق القتل على كفره بالحق، ثم تكرر الآية استحقاقه للقتل على كفره بالحق، ثم نظر كيف يطعن فى القرآن، ثم عبس بوجهه لما ضاقت به السبل، أو ليظهر أنه يتفكر ويتروى ليصيب الحقيقة، و ﴿ وَبَسَرَ ﴾ ثم قبض ما بين عينيه واسود وجهه، ثم أدار ظهره واستكبر عن الحق وقال: إن هذا إلا سحر يتناقله السحرة، وما القرآن إلا قول البشر، فيجيبه رب العزة ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ سأصليه نار جهنم. قال عطاء: [لا تبقى أحدًا حيًا ولا تتركه ميتًا] ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ تُسَوِّد البشرة من شدة الحرق، أو أنها تلوح وتشير وتنادى البشر ليروا عذاب الكفار وما ينتظرهم ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ الله أعلم بهم، فكما سيجىء ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

***

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيراً لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) ﴾

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً ﴾ ما جعلنا خزنة النار إلاّ ملائكة غلاظًا شدادًا ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وما جعلنا عددهم المذكور (تسعة عشر) إلاّ فتنة للكفار لأنهم لا يتصورون قدرة كبيرة لهذا العدد القليل من الملائكة، وقال الطبرى: [قال أبو جهل: يخبركم محمد أن خزنة النار تسعة عشر، ليجتمع كل عشرة على واحد] ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الله أعلم كيف يستيقن الذين أوتوا الكتاب بذلك ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ بتصديقهم وإيمانهم بأن الله أعلم بمراده بالتسعة عشر، وبطلاقة قدرته ﴿ وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ ولا يتشكك بعد ذلك المؤمنون من أهل الكتاب والمسلمون ﴿ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً ﴾ وليقول المنافقون والكفار منكرين ومحتجين ماذا أراد الله بهذا العدد ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ وهكذا يفعل الله ما يريد وفقًا لحكمته وعدله وطلاقة قدرته، فيزيد المضلين ضلالاً ويزيد المؤمنين هدى، وما يعلم جنود ربك إلا خالقهم ﴿ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ وما هذه الآيات والسورة إلا ذكرى للبشر ﴿ كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ ثم يقسم رب العزة بالقمر، والليل وقت السحر، والصبح إذا ظهر إن جهنم لإحدى البلايا الكبيرة ﴿ نَذِيراً لِّلْبَشَرِ ﴾ إنذارًا للبشرية جمعاء ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ بالإيمان والعمل.

***

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ

مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦) ﴾

كل نفس محبوسة بما عملت فى الدنيا إلاّ أصحاب اليمين الذين هدتهم أعمالهم الصالحة إلى جنات ربهم، يسألون عن المجرمين ما الذى أدخلهم سقر؟ فيردون ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ فى الباطل ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ حتى متنا وبعثنا ليوم الحساب، فما تنفعهم شفاعة أحد، فما لهم يعرضون عن تذكيرهم ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ كأنهم حمير تفر من أسد ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ يطلب كلٌّ منهم أن ينزل عليه كتاب منشور ـ وذلك من قبيل قولهم ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ﴾ [الإسراء: ٩٣] ـ ﴿ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ لأنهم يفضلون عليها متع الدنيا الزائفة والزائلة ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ قال سيد قطب: [فكل ما يقع فى هذا الوجود، مشدود إلى المشيئة الكبرى، ومشيئته تسيطر على أقدار الوجود كله، وهى التى أنشأته وأنشأت نواميسه وسننه، فهو يمضى بكل ما فيه فى إطار من تلك المشيئة المطلقة من كل إطار ومن كل حد ومن كل قيد.

والذكر توفيق من الله ييسره لمن يعلم من حقيقة نفسه أنه يستحق التوفيق. والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فإذا علم من العبد صدق النية وجهه إلى الطاعات، والعبد لا يعرف ماذا يشاء الله به، فهذا من الغيب المحجوب عنه، ولكنه يعرف ماذا يريد الله منه، فهذا مما بينه له، فإذا صدقت نيته فى النهوض بما كلف أعانه الله ووجهه وفق مشيئته الطليقة.

بهذه التسبيحة الخاشعة تختم السورة، وفى النفس منها تطلع إلى وجه الله الكريم، أن يشاء بالتوفيق إلى الذكر، والتوجيه إلى التقوى، والتفضل بالمغفرة.

«هو أهل التقوى وأهل المغفرة»].

***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلاَّ لا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ(١٥) ﴾

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ قيل فى تأويلها : لا أقسم، فالأمر أوضح من أن يحتاج إلى القسم، وقيل لا نافية لما يعتقد الناس فى ذلك العصر قبل نزول القرآن، وما يقولون من شركاء لله، ومن نهايتهم بالموت، فلا بعث ولا حساب، وناهية وزاجرة لهم عن ذلك، ثم يجىء بعد ذلك قسم الله، وقيل غير ذلك، والله أعلم، والنفس اللوامة هى التى دائمًا ترجع إلى ربها وتلوم صاحبها على أقواله وأعماله التى انحرف فيها، وتريد دائمًا عمل الأولى والأفضل ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ هذه آية لم يكن المفسرون القدامى، على اجتهادهم، يستطيعون التوفيق فى شرحها، فنحن إذا اتهم أحد قدرتنا نقول له : أتحسب أنى لا أستطيع أن أفعل كذا؟ بلى، إنى أستطيع أن أفعل كذا وكذا، إلى أن كشف العلم الحديث اختلاف بصمات البشر بعضها من بعض، فتسوية البصمة أصعب وأعقد من جمع العظام، وذلك بالنسبة للبشر. إن التكذيب بالبعث والحساب سببه أن الإنسان يريد أن يتمتع بفجوره فى الدنيا، فيزين لنفسه

أنها حياة واحدة ليس بعدها شيء، فلننهل منها ما نشاء بقدر ما نستطيع ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ الإنسان يريد أن يظل على فجوره مدة عمره ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ يتساءل ـ متحديًا ومستبعدًا قيام الساعة ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ أى تحير واضطرب من الهول ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ذهب ضوؤه وانطفأ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ اجتمع الشمس والقمر ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ ويعرف يومئذ أنه ﴿كَلاَّ لا وَزَرَ﴾ لا ملجأ ولا مهرب من الرجوع إلى الله للحساب ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ إما جنة وإما نار ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ فقد أحصاه الله ونسوه ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ فلكل إنسان يومئذ عين بصيرة على نفسه وما عملته فى الدنيا، حتى ولو حاول تقديم الأعذار.

***

﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)﴾

كان رسول الله (ﷺ) حريصًا على ألا يفلت منه حرف، فطمأنه ربه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ وقد حفظه الرسول (ﷺ)، ومعه عدد من الحفاظ، أو القراء، ثم جمعه أبو بكر (رضي الله عنه) فى كتاب واحد، حتى وصلتنا نسخة واحدة دون تبديل، ولا زيادة ولا نقصان، إلى يوم الدين، طبقًا لقوله ـ سبحانه وتعالى ـ فى هذه الآية وفى آية الحجر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٩] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فإذا قرأه جبريل الأمين فاستمع أولاً ثم اقرأه ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ تعددت أقوال المفسرين فيها، فقال مخلوف: [إن علينا بيان ما أُشكل من معانيه وأحكامه]، وقال المراغى: [نبينه لك يا محمد ونلهمك معناه]، وقال الطبرى: [حلاله وحرامه، فذلك بيانه]، وقال الماتريدى: [بيان ما أنزلناه إليك مجملاً، ويحتمل بيان ما هو بحق الكنايات والنتائج منها، أو: أن نحفظك ونعصمك من الناس لتتمكن من تبليغ ما أُنزل إليك إلى الخلق، ويتبين لهم، والله أعلم].

***

﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾

كلا إن رفضكم للتنزيل ولمحمد سببه أنكم تحبون ما حصلتم عليه فى الدنيا، ويلهيكم ذلك عن الآخرة وعن يوم الحساب ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فى سرور وسعادة

واطمئنان ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ ومن الناحية الأخرى، هناك وجوه كالحة عبوسة تتوقع مصيبة تقسم فقرات الظهر.

***

﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠) ﴾

﴿ كَلاَّ ﴾ زجر عن إيثار العاجلة، أى حب الدنيا والمعتقدات والأقوال والأفعال الباطلة ﴿ إِذَا بَلَغَتِ ﴾ الروح ﴿ التَّرَاقِيَ ﴾ جمع ترقوة وهى أعلى الصدر، كناية عن لحظة الاحتضار ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ وقال من حوله أما من راق يرقيه أو طبيب يداويه ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ وظن المحتضر أنه مشرف على فراق الدنيا التى أحبها ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ هلعًا وجزعًا، وقيل بل ذلك عند تكفينه ودفنه، تلتف إحدى ساقيه بالأخرى ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ للبعث ثم الحساب ﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ فلا صدق بكتب الله ورسله، ولا صلى لله ودعاه، بل كذب بالله وملائكته وكتبه ورسله، ويوم البعث والحساب، وأعرض فى سبيل دنياه ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴾ وبعد كل هذا الكفر كان يدخل على أهله متبخترًا مختالاً ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ وأولى هى صيغة وعيد بمعنى الويل لك ألم يكن من الأولى والأهم أن تذكر الله والمصير الذى ينتظرك؟ وقيل: كان الأجدر بك أن تصدق وتصلى وتزكى ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ أيحسب الإنسان أنه خلق عبثًا فى هذه الدنيا؟ فلا امتداد ولا بعث ولا حساب، ولا إقامة الحق بالموازين الحق؟ ـ وذلك مثلما جاء فى سورة المؤمنون ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ [١١٥] ـ ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ ألم يكن الإنسان فى الأصل نطفة من منى صب فى الرحم ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ ثم طورته القدرة الإلهية إلى قطعة دم متجمدة تعلقت بأعلى الرحم، ثم طوّرها الله حتى صارت إنسانًا سويًا ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ فمن يفعل ذلك ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ بلى والله، وإنه لعين اليقين.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ ﴾

﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾ استفهام تقريرى بمعنى لقد أتى ﴿ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ ﴾ وقت وزمان ﴿ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ كان عدمًا لا وجود له ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ خلق الله الإنسان من نطفة أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة ليختبره ويبتليه بعد أن أصبح الماء سميعًا بصيرًا ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ إنا بينا له طريق الهدى وطريق الضلال، وعليه أن يختار بين الإيمان والشكر وبين الكفر والعصيان ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ فإذا اختار طريق الكفروالعصيان، فلقد أعتدنا له السلاسل والقيود والسعير فى نار جهنم.

***

﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا

نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) ﴾

إن الأبرار الذين آمنوا وعملوا الصالحات، الذين كانوا يوفون بنذرهم، ويخافون يوم الحساب، فكانوا يطعمون الطعام على قلته عندهم مسكينًا، ويتيمًا، وأسيرًا، أى يتصدقون على محارب وقع فى الأسر، ويفعلون ذلك لوجه الله، خوفًا وطمعًا، أولئك الأبرار من عباد الله وقاهم ربهم شر يوم الحساب ﴿ يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ يومًا شديدًا كريهًا، وجزاهم نضرة فى وجوههم وسرورًا، يتنعمون فى جناته بألذ الطعام والشراب المخلوط بأفضل الطيب، وهو الكافور، والملبس والمسكن، لا يعانون حرًّا ولا بردًا، تظلهم الجنات بظلالها الوارفة، وثمراتها فى متناول أيديهم بلا سعى ولا تعب.

***

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢) ﴾

وتطوف عليهم الملائكة حاملة الأوانى والأكواب الفضية والزجاجية ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ يشربون من خمر مخلوطة بالزنجبيل، وكان العرب يستطيبونه ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ من ضمن هذه العيون الجارية عين تسمى سلسبيلاً، والسلسبيل ما هو سلس الانسياغ والمذاق والشرب ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ يطوف عليهم لخدمتهم ولدان لايكبرون كأنهم اللؤلؤ المنثور ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ فإذا نظرت لرأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا، وكيف لا وذلك ما أعده الرحمن خالق الأكوان لعباده الأبرار، وفيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على

قلب بشر ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ يلبسون أثوابًا من الحرير الرقيق الأخضر، والحرير الغليظ، وأساور من فضة، وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

***

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)﴾

إنا نحن الذين أنزلنا عليك القرآن تنزيلاً، فاصبر على تكليفك بالرسالة ولا تطع الذين أثموا وكفروا من وجهاء قريش والعرب وأهل الكتاب ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ فاسلك سبيل ربك أول النهار وآخره، أى كل وقت، فلهذا خلقك وخلق البشر أجمعين، وبسلوك سبيله تفوز فى الدنيا والآخرة، وأطل السجود له وتسبيحه فى الليل، وجاء فى الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا السجود» رواه مسلم ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ لذلك يكذبون بيوم الدين ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ لقد نسوا أننا خلقناهم وأحكمنا خلقهم، وتحتمل شددنا أسرهم أننا جعلناهم أسرى أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرّا يره، وإذا شئنا نذهب بهم ونأتى بخلق آخرين ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ إن ما نقصه عليكم تذكرة، فمن شاء اتخذ طريق الله المستقيم ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وما تشاؤون إلاّ إن شاء الله وتفضل عليكم بقدرته وعلمه الأزلى، فهو خالق كل شىء، ومن ضمن خلقه مشيئتكم ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) ﴾

تعددت أقوال المفسرين فى الآيات الست الأولى؛ إذ ليس هناك نصوص قرآنية أخرى تشرحها، ولا هناك حديث صحيح يُستند عليه، ونذكر هنا تأويلين، أولهما للمراغى، والثانى لمحمد الغزالى. قال المراغى: [﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ أى أقسم بملائكتى الذين أرسلتهم بالإحسان والمعروف، ليبلغوه أنبيائى ورسلى ﴿ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾ أى فالملائكة المبعدين للباطل بسرعة كما تعصف الريح التراب والهباء ﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴾ أى والملائكة الذين ينشرون آثارهم فى الأمم والنفوس الحية ﴿ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴾ أى فالملائكة النازلين بأمر الله للفرق بين الحق والباطل، والهدى والغىّ ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ أى فالملائكة الملقيات إلى الرسل وحيًا فيه إعذار إلى الخلق، وإنذار لهم بعقاب الله إن هم خالفوا أمره]، بينما قال محمد الغزالى: [هذه الجمل كلها فى وصف الريح التى تنبئنا النشرات

(*) إلا الآية ٤٨ فمدنية.

الجوية عن مصادر هبوبها وتحديد وجهاتها، وصدر السورة هنا يشبه صدر سورة الذاريات. والهواء أساس الحياة البشرية، سواء وقف ساكنًا أو هبّ عليلاً أو اشتد عاصفًا، وقد تساءلت كثيراً عن الهواء الذى يملأ رئتىَّ زفيراً وشهيقًا: هل يبقى فى القاهرة، أم ينتقل ريحًا بين شرق الدنيا وغربها، ويمرّ فى حركته الدائمة بصدور أخرى؟ وعندما أتأمل فى نعماء الله أشعر بأن الكون كلّه يشترك فى خدمتى، ولكن ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧].

عندما يهدأ الجوّ نشعر بالهواء لطيفًا، وعندما يثور فى بعض الأقطار نراه يقصف الأشجار ويقذف بالسيارات من مكان لآخر، وهو يبعثر السحب هنا وهناك ويفرقها لتهطل بالغيث حيث شاء الله... ونتدبر قوله تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ الذكر هنا هو القرآن الكريم، والرياح هى الوسط الناقل للأمواج الصوتية، وسامعو الوحى بين منتفع به وصادٍّ عنه، إنه عذر للمهتدين ونذير للضالين.

ونشير هنا إلى أن جمهور المفسرين يظن الآيتين الأخيرتين وصفًا للملائكة؛ لأنه لم يكن يدرى أن الهواء هو الوسط الناقل للأصوات، مع أن ذلك أصبح من الحقائق المدروسة فى علم «الفيزياء» الطبيعة. وقد أقسم الله بالرياح ونعوتها على أن البعث حق وأن جزاء الكفر والإيمان لا شك فيه، ثم ذكر صفات اليوم الأخير للعالم قائلاً: «فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت. وإذا الجبال نسفت. وإذا الرسل أقتت. لأى يوم أجلت. ليوم الفصل. وما أدراك ما يوم الفصل»؟] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ جواب القسم إن البعث والحساب لواقع ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ انطفأ ضوؤها ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ انفطرت وتشققت ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ فأصبحت كالصوف المنفوش ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ حدد لها الوقت للشهادة ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ لأى يوم تأجل الحساب، ليوم الفصل ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾].

وربما لم تبين آيات أخرى، ولا أحاديث صحيحة المعنى المقصود، حتى تستمر أجيال البشر فى البحث فى معانى القرآن، وربما يكتشف جيل ما لم يعرفه سابقه، وإلى يوم الدين، والله أعلم!.

***

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ

كفاتًا (٢٥) أحياءً وأمواتًا (٢٦) وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتًا (٢٧) ويل يومئذ للمكذبين (٢٨) انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون (٢٩) انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب (٣٠) لا ظليل ولا يغني من اللهب (٣١) إنها ترمي بشرر كالقصر (٣٢) كأنه جمالت صفر (٣٣) ويل يومئذ للمكذبين (٣٤) هذا يوم لا ينطقون (٣٥) ولا يؤذن لهم فيعتذرون (٣٦) ويل يومئذ للمكذبين (٣٧) هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين (٣٨) فإن كان لكم كيد فكيدون (٣٩) ويل يومئذ للمكذبين(٤٠)﴾

﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ سيتكرر هذا الإنذار تسع مرات لعل الناس تنتبه وتعود لرشدها، فتذكر خالقها، وتعمل ما تفوز به فى دنياها وأخراها ﴿ألم نهلك الأولين (١٦) ثم نتبعهم الآخرين﴾ ألاّ تتعظوا بهلاك الأمم السابقة كقوم نوح وعاد وثمود، ثم إتباعهم بهلاك قوم لوط، وغرق قوم فرعون ﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ كذلك نهلك المجرمين فى الدنيا ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ ثم تعالوا أيها المجرمون نذكركم بأصل نشأتكم من نطفة من ماء ضعيف ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين (٢٠) فجعلناه في قرار مكين (٢١) إلى قدر معلوم﴾ ألم ندخل هذا الماء الضعيف فى قرار مكين فى رحم المرأة إلى قدر معلوم، فى الوقت، وفى نمو الجنين، وفيما يكون منه إلى يوم الدين ﴿فقدرنا فنعم القادرون﴾ فقدرنا ذلك تقديراً محكمًا ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وانظروا أيها الناس ﴿ألم نجعل الأرض كفاتًا﴾ كفت تعنى ضم وجمع، فالأرض تجمعكم أحياءً وأمواتًا ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ وجعلنا فيها جبالاً تمنعها من الاضطراب عند دورانها ﴿وأسقيناكم ماءً فراتًا﴾ الماء الفرات هو العذب السلسبيل ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ فيومئذ يُقال لهم ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون (٢٩) انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب (٣١) إنها ترمي بشرر كالقصر (٣٢) كأنه جمالت صفر﴾ اذهبوا إلى ما كنتم تكذبون به، إلى ظل دخان ذى ثلاثة أقسام، لا يظلهم، ولا يحميهم من لهب جهنم، ترمى نارها بشرر هائل كبير كالقصر، وكالجمال الصفراء ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ فهم فى هذا اليوم لا يتكلمون، ولا يسمح لهم بالاعتذار ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين﴾ من الأمم السابقة ﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ فإن كنتم تملكون أى حيلة فى هذا العذاب فاحتالوا، فليس أمامكم إلاّ الويل ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ .

***

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)﴾

أما المتقون، فهم ينعمون فى ظلال وارفة وعيون ماء دافقة، يأكلون ويشربون مما يشتهون، جزاء بما كانوا يعملون، وهكذا يجزى الله عباده المحسنين ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ كلوا وتمتعوا قليلاً فى حياتكم الدنيا، فقد أجرمتم بتكذيبكم وتفضيلكم متع الدنيا الزائفة الزائلة عن الآخرة الباقية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وإذا قيل لهم فى الدنيا اركعوا، علامة على الصلاة والطاعة، لا يركعون، فإذا لم يؤمنوا بهذا الحديث، فبأى حديث بعده يؤمنون؟.

***

obeikandl.com